

### نشأة دراسة علم الإعجاز وتطورها

ترجع نشأة علم الإعجاز إلى أوائل نزول القرآن الكريم لأن القرآن هو معجزته الخالدة، قال ﷺ: (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، والقرآن الكريم من أكبر معجزاته ﷺ، قال ﷺ: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، غير أنه لم يكن معروفاً في صدر الإسلام، لفرط تذوقهم لمعانيه وسماعه وموسيقاه فمجرد تلاوته وسماعه كانت كافية لإدراك وجوه إعجازه ومعرفة تفوقه على أساليب بيانهم المعتاد ولذا كانوا في الموقف من القرآن على فريقين:

**الفريق الأول:** من استجاب للحق الذي فيه فأمن به واستسلم له وخضع له فؤاده.

**الفريق الثاني:** من أعرض عنه ولم يعمد إلى معارضته وأقر بهزيمته، ولكنه جحد به كبراً وعناداً، فصور القرآن حالهم بقوله ﷺ: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾.

وقد أجمعت العرب على تميز أسلوب القرآن عن أساليبهم مما دفع البعض للإيمان به والاستسلام له ،، ثم تطورت هذه الدراسة في أوائل القرن الثاني إذ اتخذت شكلاً موضوعياً سيما بعد توسع الدولة ودخول الأعاجم في الإسلام بثقافاتهم المختلفة، مما يعني بروز تحد جديد وهو معرفة بيان القرآن ومقاصده بعد أن ابتعد الناس عن صفو اللغة وبيانها في عهد الرسالة، فضعفت الملكة اللغوية وقوة الاستنباط واطمحل التدوق الفطري للبيان القرآني ونظمه، فوجب النظر فيه بتدبر وتأن ودراسة فاقترصر على الصفة، فأصبحت الحاجة ملحة لبيان حقيقة الإعجاز القرآني،، لمواجهة الطاعنين في النص القرآني بدعوى وجود التناقض والتكرار والضعف، فتصدى لهذا الطعن علماء البلاغة وعلماء الكلام والعقيدة يثبتون وجوه الإعجاز القرآني الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، ولإثبات نبوة محمد ﷺ لأن الإعجاز على نبوته وهي أصل من أصول الإسلام فللجانب العقدي الأثر الأول في نشأة هذا العلم.

ونتيجة لتنوع الباحثين والمهتمين بعلم الإعجاز وثقافتهم المختلفة، فقد تنوع البحث فيه بحسب الباحث وثقافته، فمنهم اللغوي والمنطقي والفلسفي والعلمي فاشتعلت بينهم الخصومات الفكرية فاتخذ البحث في الإعجاز منحيين أساسيين هما:

**المنحى الأول:** تناول علم الإعجاز بصورة غير مباشرة عبر الدفاع عن نظم القرآن وأسلوبه ودفع الشبه والطعون عنه.

**المنحى الثاني:** تناول علم الإعجاز بصورة مباشرة فكتب في مصنفات خاصة ومستقلة، إلا أنها كانت مختلطة بأبحاث أخرى مماثلة له.

ووفقاً لما تقدم يمكننا فهم ونشأة وتطور علم الإعجاز من خلال الآتي:

**أولاً- اتجاهات البحث والتصنيف في علم الإعجاز:**

**الاتجاه الأول: البحث والتصنيف غير المباشر:**

تجلى هذا التصنيف في الدفاع عن القرآن الكريم ومواجهة الحاقدين والشعوبيين وأبرز من كتب في هذا اللون:

١- أبو عبيدة ت ٢١٠هـ في كتابه ((مجاز القرآن)).

٢- الفراء يحيى بن زياد ((ت ٢٠٧هـ))، في كتابه ((معاني القرآن)).

٣- الجاحظ ((ت ٢٥٥هـ)) في كتابه ((البيان والتبيين)) و((نظم القرآن)) ومؤلفات أخرى.

٤- ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٨هـ)) في كتابه ((تأويل مشكل القرآن))،،،،،

وهؤلاء جميعاً قالوا لم يخرج القرآن عن كلام العرب ومناحيهم إلا أنه فارق أساليبهم وأعجزهم بفصاحته وبلاغته وسمو بيانه وفصاحته وعجيب تأليفه.

أما ابن قتيبة فقد اهتم بمواجهة الشعوبيين وما أثاروه من وجود التناقض والاختلاف وسوء في

نظمه، فكتب ((تأويل مشكل القرآن))، في هذا الشأن، وقالت عائشة عبد الرحمن ((بنت

الشاطئ)): انتصرت الفرق الإسلامية لبعضها البعض في شأن القرآن، وكتب الأشعري

والجاحظ والخياط والطبري وأبي عبيدة وغيرهم في هذا الشأن.

**الاتجاه الثاني: وهو البحث والتصنيف المباشر:**

وقد جاء التصنيف المباشر على أسلوبين مهمين:

**الأسلوب الأول في التصنيف:** ما كان ضمن مباحث مختلفة، إذ كتب الجويني الإرشاد، وكتب البغدادي أصول الدين، و كتب القاضي عبد الجبار (المغني)، والزرکشي كتب البرهان، والسيوطي كتب الإتيان، ... وغيرهم.

**الاتجاه الثاني:** ومنهم من وضع تصنيفاً مستقلاً كالجاحظ الذي ألف نظم القرآن، وقد ذكر الرافعي أن أو من كتب في هذا العلم: أبي عبدالله يزيد الواسطي (ت ٣٠٦) وعبد القاهر الجرجاني، وأبو عيسى الرماني، والباقلاني وغيرهم.

ومما يجدر الإشارة إليه أن العلماء قد اتفقوا على ان القرآن معجز ولكنهم اختلفوا في الوجه المعجز منه، فهل هو معجز في لفظه ونظمه أم في بيانه ومعناه واسلوبه، ام في بلاغته وفصاحته، أم بتأثيره في النفوس وإيقاعه وموسيقاه، أم هو معجز في إخباره بعلم الغيب وتشريعاته،،، ام هو معجز بكل هذا أم ببعض منه.

#### -تطور آراء العلماء في الوجه المعجز في القرآن الكريم:

كانت أول بداية البحث في علم الإعجاز مستقلاً هي في القرن الثالث الهجري بعد ظهور الطاعنين فيه من أمثال الملحد ابن الراوندي، وعيسى بن صبيح المرदार ...

#### وكان من ابرز من كتب علم الإعجاز:

١-أبو إسحق ابراهيم بن سيار النظام البصري المعتزلي ((ت ٢٢٠)). وهو يعتقد ان الوجه المعجز في القرآن هو بالصرفة عن الإتيان بمثله.

٢-الجاحظ: قرر أن الوجه المعجز هو في البيان، ووافقه على هذا الرأي: الفراء وابن قتيبة وأبي عبيدة.

القرن الرابع الهجري: في هذا القرن اتضحت دراسة علم الاعجاز وممن الف فيه: الرماني والخطابي والعسكري ومحمد بن يزيد الواسطي، والأشعري والطبري وآخرون  
القرن الخامس الهجري: وهو العصر الذهبي في دراسة علم الإعجاز، ومن أبرز علماء هذا العصر: المعري، والشريف المرتضى، وابن حزم والباقلاني.... وغيرهم.  
القرن السادس الهجري: ازدهر في هذا العصر: الغزالي، والقاضي عياض والزمخشري وابن عطية وابن رشد والطبرسي والزمخشري ... وغيرهم.

القرن السابع الهجري:

ومن ابرز أعلام علم الإعجاز في هذا القرن: الفخر الرازي، والقرطبي، والسكاكي.  
القرن الثامن الهجري: ومن ابرز من كتب في هذا القرن، الزمكاني، والقزويني وابن كثير،  
والزرکشي، وابن الزبير القرناطي، وابن القيم، وابن تيمية،... وغيرهم.

من القرن التاسع وإلى القرن الرابع عشر الهجري:

في هذه الحقبة اكتفى علماؤها بما جاء به الأولون من البحث في علم الإعجاز ومن هؤلاء،  
السيوطي وأبو الثنا الألوسي ومحمد الاسكندراني... وغيرهم.

القرن الرابع عشر الهجري:

يعد هذا القرن هو العصر الذهبي للتأليف في علم الإعجاز بعد العصر الأول في علم الإعجاز  
وهو القرن الخامس، وعلماء هذا العصر فقد ابتكروا نظريات جديدة في علم الإعجاز ومنها:

١- الإعجاز العلمي فقد قال به زغلول النجار وغيره.

٢- الإعجاز العددي فقد قال به رشاد خليفة وعبد الرزاق نوفل.

٣- الإعجاز البياني فقد قال به بنت الشاطيء ومحمد رشيد رضا وسيد قطب والرافعي،،

وغيرهم.

٤- الإعجاز التشريعي فقد قال به عبدالله دراز وأبو زهرة ومحمد عبدة وآخرون.

٥- الإعجاز الموسيقي فقد تميز به سيد قطب فوق تميزه بالوجوه الأخرى من العلم.